

**سيكولوجيا العلاقات الاجتماعية
قراءة في منظومة العلاقات بالطبيعة**

**The Psychology of Social Relationships
A reading into the System of Relationships with Nature**

أ. د. سماح خالد زهران

**جامعة عين شمس
مصر**

prof.dr.samahkz@gmail.com



سيكولوجيا العلاقات الاجتماعية قراءة في منظومة العلاقات بالطبيعة

أ.د. سماح خالد زهران

ملخص:

تناقش هذه المقالة البحثية فرضية كون العلاقات الاجتماعية جزءاً من منظومة العلاقات الكونية بالطبيعة، وتستعرض هذا من خلال عدة محاور نظرية تفند فيها أولاً مفهوم العلاقات ثم الاتجاهات النظرية النفسية المفسرة لها، ثم تتناول نظم وشكل منظومة العلاقات في النظام البيئي بالطبيعة، وتسلسل الضوء على بعض أشكال العلاقات الإنسانية من خلال منظومة الحياة الاجتماعية، وأخيراً تقترح، وفق المنهج الفرضي الاستدلالي في البحث العلمي المنطقي، نمطين أساسيين ملخصين ومحددتين لكل أشكال العلاقات هما: العلاقات التكاملية الإيجابية والعلاقات الاستغلالية السلبية، وتشرح هذا باستفاضة وفق معطيات العرض النظري، وفي النهاية تستخلص معادلة مقترحة لصياغة نمط العلاقات الإنسانية الاجتماعية في إطارها.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الاجتماعية، العلاقات الكونية في النظام البيئي بالطبيعة، نمطي العلاقة الأساسيين التكامل مقابل الاستغلال، معادلة العلاقة المقترحة.

Abstract:

This research article discusses the hypothesis that social relations are part of the system of universal relations with nature, and it reviews this through several theoretical axes in which it first refutes the concept of relations, then the psychological theoretical trends that explain them, then it deals with the systems and form of the system of relations in the ecosystem with nature, and sheds light on some forms of Human relations through the system of social life. Finally, it proposes, according to the hypothetical-deductive approach in logical scientific research, two basic patterns that summarize and define all forms of relationships: positive complementary relationships and negative exploitative relationships. It explains this in detail according to the data of the theoretical presentation, and in the end, it extracts a proposed equation to formulate the pattern of human relationships social context.

Key Words: Social Relations, Universal Relations in The Ecosystem with Nature, The Two Basic Relationship Patterns, Integration Versus Exploitation, The Proposed Relationship Equation.

1- تقديم:

إن المتأمل في الطبيعة يرى أن العلاقات عامة جزء من ناموس الطبيعة الفطري، فما من موجود صغر أو كبر يعيش بمعزل عن الموجودات الأخرى، وكأن الكون يتشكل من مفردات تعمل معا لأداء مهمة أو مهام محددة.

ومثلما الطبيعة، نجد الإنسان كائنا اجتماعيا بالفطرة، فمن لحظة خلقه الأولى يعيش في علاقة تكاملية توافقية مع أمه الحاضنة له يستمد منها عناصر الحياة والنمو.

وتعد العلاقات الاجتماعية، في تقديرنا، جزء من هذه المنظومة الكونية بالطبيعة، من هنا تحاول هذه الورقة العلمية تسليط الضوء على:

- أولاً: طبيعة وماهية العلاقات الاجتماعية في مستوى تعريفها وأنواعها والعوامل المؤثرة فيها.
- ثانياً: الاتجاهات النظرية المفسرة لها في العلوم الإنسانية.
- ثالثاً: أنواع العلاقات بالطبيعة والنظام البيئي عامة.
- رابعاً: العلاقات داخل منظومة الحياة الاجتماعية، مع تسليط الضوء على التحليل النفسي لبعض أشكال تلك العلاقات كنماذج.
- خامساً: المستخلص والمقترح بكل ما تقدّم من أجل استنباط شكل محدد لمنظومة العلاقات الاجتماعية كجزء من منظومة العلاقات بالطبيعة ككل.

2- طبيعة وماهية العلاقات الاجتماعية:

تنشأ العلاقات الاجتماعية من جملة التفاعل القائم باتصال الأفراد بعضهم ببعض من أجل إشباع حاجاتهم، وبذلك تعدّ مصدراً مهماً لاستمرارية الحياة واكتمالها. وتعدّ العلاقات الاجتماعية أساس البناء الاجتماعي، لذا تعدّ دراستها وحدة أساس لتحليل هذا البناء (فكرة، عبد العزيز: 2017: 493-508).

وتعدّ دراسة طبيعة العلاقات الاجتماعية مسألة جوهرية وأساس في فهم سلوك الجماعات البشرية؛ إذ أنّها تفيد في فهم وظيفة الجماعة الإنسانية ونظمها، وذلك من خلال دراسة تأثير هذه العلاقات في البناء الاجتماعي (الأشول، عادل: 1999: 123).

تشير العلاقات الاجتماعية إلى الروابط بين الأشخاص الذين لديهم تفاعلات متكررة مع بعضهم البعض، تلك التفاعلات ذات المعنى والأهمية والمدلول بالنسبة إلى الأطراف المتفاعلة، مثل جماعة الأسرة أو الجيران أو العمل أو الشركاء عامة في التعامل لفترة دامت أو قصرت، ويستثنى من هذا التفاعلات العابرة ذات الأهمية المحدودة بين الأطراف المتفاعلة¹.

1- https://link.springer.com/referenceworkentry/10.1007/978-1-4419-1005-9_59

وتتنوع العلاقات الاجتماعية بحسب ديمومتها، فمنها الدائم المستمر كجماعة الأسرة، ومنها المحدود بوقت كجماعة العمل مثلا، كما تتنوع أيضا بحسب درجة عمقها بالنسبة إلى الفرد فالجماعية الأولية تكون مرجعية للمنتمين إليها يستمدون منها معاييرهم في الحياة ويرجعون إليها كلما احتاجوا النصيح والمشورة كجماعة الرفاق وجماعة الأسرة، وقد تكون جماعة ثانوية مؤقتة في حياة الفرد لا تشكل له دعما أو سندا نفسيا يعوّل عليه.

ومن العلاقات الاجتماعية بالجماعات الإنسانية، الجماعة الرسمية ذات العلاقات الرسمية مثل علاقات العمل، ومنها العلاقات الشخصية الخاصة، كما بالحياة الخاصة لكلّ منا.

وفي جميعها قد يترتب على التفاعلات بين الأفراد تأثيرات إيجابية عندما تكون التفاعلات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية تقدّم الدعم العاطفيّ والماديّ لأفرادها والرفقة الطيبة وتشجع على نمو الصحة المعنوية بشكل عام. وقد ينتج عن التفاعلات والعلاقات على الجانب الآخر شبكة اجتماعية سلبية عندما تتضمن تصرفات غير حساسة أو مؤذية أو غير مستجيبة أو غير متعاطفة مع الغير.

وقد ربطت عديد الأبحاث عبر سنوات ممتدة من ثمانينيات القرن الماضي وحتى الألفية الحالية بين الصحة أو المرض عضويا كان أو نفسيا وجودة العلاقات الاجتماعية في حياة كل منا، فوجد أن هناك خطر مرتفع لقابلية الإصابة بعدد من الأمراض واضطراب العلاقات الاجتماعية مثل أمراض القلب والأوعية الدموية، وكذا بعض أنواع السرطانات وعدد من الأمراض المعدية، والسكتات الدماغية وربما الخرف¹.

حيث وجد أن الشبكة الاجتماعية للفرد من حيث عمقها وحجم تأثيرها تؤثر في دعم الناس معنويا وصحيا، فالزيجات الناجحة مثلا غير الزيجات الفاشلة كما في حالات الترمل أو الطلاق أو الهجر، والحياة الاجتماعية الخاصة الهادئة تعزز من استقرار الفرد وسلامته على كلّ مستوى.

وقد أفادت الأبحاث أيضا بأن شبكة العلاقات الاجتماعية تغير في بناء أو تركيب المخ؛ بما تفرزه من هرمونات كنتاج للتفاعل، كما قد وجد أن العلاقات الاجتماعية البناءة تعزز من نمو الفرد الأخلاقي؛ بحكم كونه شخص فعال في الجماعة الإنسانية، مما يعود عليه بالنفع في تكوين صورة إيجابية للمرء عن ذاته ويزيد من إفراز هرمونات السعادة، وكلّ ذلك يصب في النهاية في تعزيز السلوك الأخلاقي أكثر فأكثر (Gillath, Omri and others: 2012:14, 43).

توفّر شبكة العلاقات الاجتماعية الناجحة الدعم الاجتماعي والعاطفي لأفرادها عندما تدعمهم وقت الحاجة، بما يزيل الضغوط النفسية الواقعة عليهم ويحميهم من الانهيار.

وإضافة إلى الدعم فهي توفر لهم الرفقة والعلاقة الممتعة الحميمة، مما يساعد على تحقيق مستويات أعلى من الصحة والرفاهية، فالرفقة الطيبة تقلل من هرمونات التوتر وتعزز وتزيد من هرمونات الدعم

1- https://link.springer.com/referenceworkentry/10.1007/978-1-4419-1005-9_59

والسعادة. وفي المستوى النفسي ترتبط شبكة العلاقات الاجتماعية الداعمة بمستويات أعلى من الصحة النفسية وتقدير الذات والقدرة على المواجهة¹.

وختاماً، يمكن القول إن العلاقات الاجتماعية تتأثر بالعامل الشخصي للأفراد المتفاعلين والعامل البيئي لمجال تفاعلهم، وتدخل في العامل الشخصي سمات الشخصية وخصائصها، وقدرات الأفراد وإدراكهم ونظرتهم للأمور، وما لديهم من خبرة وعمر ومستوى تعليمي واقتصادي وتسمى هذه بالخصائص الديموجرافية، وأخيراً دوافعهم ومشاعرهم وأهدافهم.

وتدخل في العامل البيئي سمات البيئة الثقافية وطرق تعاملها مع الأفراد والجماعات وطرق تأثيرها فيهم. ولعلّ كيرت ليفين، عالم النفس الجشتالتي – من مدرسة الجشتالت، والتي كانت ترى أن الكل أكبر من مجموع أجزائه بعلم النفس والمجتمع، وهي قاعدة صحيحة أيضاً في الطبيعة – اقترح في أربعينيات القرن الماضي قاعدة أو معادلة عامة للسلوك يمكن أن تتخذ كمثال هنا أيضاً على سلوك التفاعل بين الأشخاص والعلاقات الاجتماعية، ومفاد هذه المعادلة أن: السلوك دالة الفرد وبيئته:

$$B = F(p+e)$$

B behavior السلوك

F function دالة

P person الفرد

E environment البيئة

أي أن السلوك أو أي تصرف يصدر منّا إنما يعبر عن كلّ من صفات الشخص نفسه الصادر من السلوك وطبيعة الموقف الاجتماعي والبيئة النفسية الحاضنة لهذا التفاعل. والعلاقة هنا بالإضافة، بالجمع وليست بالضرب أي ليست علاقة تضاعفية، فتصرفات كلّ منّا ما هي إلاّ نتاج للتفاعل الكائن بين ذاتنا، وبيننا وبين بيئتنا (ويكيبيديا: 2024: 1).

3- الاتجاهات النظرية المفسرة للعلاقات الاجتماعية في العلوم الإنسانية:

تنشأ العلاقات الاجتماعية من جملة التفاعلات القائمة بين الأفراد، وتنشأ هذه الاتصالات والتفاعلات من أجل تحقيق أهداف الأطراف المتفاعلة وإشباع احتياجاتهم التي يسعون من أجلها. ويرى علماء الاجتماع ثلاثة اتجاهات نظرية مفسرة لمثل أنماط التفاعل هذه، وهي:

1- https://link.springer.com/referenceworkentry/10.1007/978-1-4419-1005-9_59

الاتجاه التأويلي الفردي في تفسير العلاقات الاجتماعية:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الفرد أسبق في الوجود من المجتمع، وعليه فإنّ العلاقات الاجتماعية تتكون من التجربة الحياتية للفرد ومشكلاته المختلفة، والبناء الاجتماعي بمؤسساته يكون نتاج لهؤلاء الأفراد المتفاعلين والذين يعيدون إنتاجه من آن لآخر.

الاتجاه البنائي الاجتماعي الواقعي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ المجتمع هو الذي يتحكم في الفرد بحسب مطالبه بما فيه من عادات وتقاليد ومعايير وقوانين تضبط العلاقات الاجتماعية وتجعل الفرد ملزماً بها.

وأخيراً الاتجاه التوفيقي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ البناء الاجتماعي والفعل الإنساني الفردي كلاهما مكمل لبعضه البعض، ولا يمكن لطرف أن يتحكّم في الآخر بشكل مستقل في غياب الطرف الآخر؛ لأنهما مصدران مهمان لتكوين العلاقات الاجتماعية واستمرارها بالمجتمع (فكرة، عبد العزيز: 2017: 493-508).

ويرى علماء الاجتماع أن العلاقات الاجتماعية تنشأ بناء على أساسين مهمين هما الغذاء واستغلال الطاقة، ويعتمد تكوين العلاقات الاجتماعية على إنسان اجتماعي يعيش في جماعات تتبادل فيما بينها الأخذ والعطاء. وتستمر العلاقات متى ما استمرت الحياة الإنسانية والمجتمعات (فكرة، عبد العزيز: 2017: 493-508).

ويرى التفسير النفسي لنشأة العلاقات الإنسانية أنّ الدافع إلى هذا هو حاجة كلّ منّا إلى الانتماء إلى مجموعة أو جماعة معينة، ويرى علماء النفس أن الجماعة الإنسانية تتكون عندما يتفاعل فردان أو أكثر يعتبران أنفسهما أعضاء بهذه الجماعة، بمعنى التزامهما بالحقوق والواجبات والمعايير الخاصة بها (Nijstad, B.A.: 2007:246).

وتتكون العلاقات الإنسانية وتستمر وفقاً للوجهة النفسية بناء على مداخل ثلاثة:

المدخل البيولوجي الارتقائي:

الذي يرى أن الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض ويكونون مجموعات لاحتياجهم للتعاون لتجنب الأعضاء والتعاون مع بعضهم البعض للزراعة والصيد وتربية الصغار، هكذا نشأت العلاقات في مبتدأها من المنظور الارتقائي للانتخاب الطبيعي وفقاً للدارونية؛ وذلك من أجل زيادة الفرص للارتقاء والبقاء والتعايش ومن ثم الحياة بشكل أفضل. وترى أن هذا التوجه فطري وعام لا يختلف باختلاف الثقافات والمواقف (Nijstad, B.A.: 2007:246).

المدخل المعرفي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الأفراد يتفاعلون لتشكيل رؤية عن العالم تكون فيما بعد هويتهم الاجتماعية وفقاً لنظرية الهوية الاجتماعية social identity theory، حيث يرى العالم ليو فستنجر – أحد أبرز علماء النفس الاجتماعي في مجال المعرفة الاجتماعية – أن الإنسان يتحرك مدفوعاً بالرغبة في المعرفة،

حيث التجانس المعرفي عامل مهم في توافقه وقدرته على الاستمرار، ويقصد بالتجانس المعرفي الاتساق ما بين المعرفة والسلوك بحيث لا يعارض أو ينافي أحدهما الآخر، مثلا: كالإقلاع عن التدخين وهذا سلوك؛ لأن صاحبه يعلم أنه ضار بالصحة وهذه معرفة، وبالتالي فنحن نكون علاقات اجتماعية من أجل فهم العالم بشكل أكثر اتساقا يمكننا من العيش الأفضل فيه (Nijstad, B.A.: 2007:247).

مدخل نظرية التبادل الاجتماعي: social exchange theory :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أننا نكون علاقاتنا الاجتماعية من أجل إشباع حاجتنا والتي تتم عن طريق عمليات تبادلية. فالدعم المتبادل من أجل علاقات مثل الحب والصدقة تجعلنا نشبع حاجتنا المختلفة. وترى النظرية التي تعد واحدة من أهم نظريات العلاقات الاجتماعية أن العلاقات الإنسانية تستمر وتنمو متى ما تعادلت العلاقة التبادلية للأخذ والعطاء بين أطرافها، فإذا طغى عطاء طرف دون مقابل جوهري من الآخر انتفت العلاقة وقيمتها وأهميتها عند المتضرر وبالتالي يشكل هذا نهاية لها (Nijstad, B.A.: 2007:247). ويرى جوستاف لوبون أحد أبرز علماء الاجتماع الأول الذين تناولوا الظاهرة النفسية لنشأة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعات البشرية أن الجماعة الإنسانية تتشكل لأن مجموعة من الأفراد هدف واحد مشترك وشعور واحد يجمعهم (فرويد، سيجموند: 1921: 5-140).

ويرى فرويد في التحليل النفسي للجماعة وشبكة العلاقات التي تحكمها أن العقائد تتكون لدى الجماهير بالعدوى والإيحاء النفسي ولا تتكون عن طريق أعمال العقل والمحكمة العقلية المنطقية، لذلك فإن التجمع الجماهيري تغلب عليه العاطفة الجياشة والتي لا تحتل أي اعتراض أو مناقشة وتقابلها عادة بالغضب والعنف، وتكون عواطفها مضخمة جدا وبسيطة في آن واحد كالإنسان البدائي؛ ما يفسر ارتكابها لأفعال بها تطرف وهمجية (فرويد، سيجموند: 1921: 5-140).

ويرى فرويد أن هذا الإيحاء النفسي العاطفي الكبير يندفع بقوة من أجل التحول إلى أفعال، حيث تتحول الأفكار الموحى بها في الحال إلى أفعال، وتكون السمة الأساس للفرد وسط جمهوره بأنه شخص عجزت إرادته عن تسييره، وهذا ينجم من التفاعل الدائم والتأثير المتبادل في شبكة علاقات الفرد بالجماعة. وعادة ما تكون الجماهير مفتونة بإيمان عميق بشخص ما تخلع عليه صفات الهيبة، والتي تمثل بالنسبة إلى أفراد الجماعة ضربا من ضروب السحر يشل ملكاتهم النقدية ويملاً نفوسهم بالاحترام والاندھاش. ويرى فرويد أن شخصية الزعيم في الجماعة الإنسانية قائمة على أساس من التعلق الوجداني والتعاطف التام بين كل فرد بالجماعة وهذه الشخصية التي تتحول قدراتها لشبه أسطورية في نظر أعضاء الجماعة (فرويد، سيجموند: 1921: 5-140).

ويصف علماء النفس الاجتماعي أن علم العلاقات كعلم تكاملي بين عدة تخصصات مثل علم الحياة وعلم البيئة والاجتماع وعلم النفس، يركز على نظريتين أساسيتين نظرية الاعتماد المتبادل interdependence theory ونظرية التعلق attachment theory، وتؤكد نظرية الاعتماد المتبادل على السلوك التعاوني لشركاء العلاقة عندما تكون مصالحهم غير متضاربة، وفيها يركز كل طرف في الآخر على الأفعال الدالة على هذا التعاون أو الاعتماد المتبادل. أما نظرية التعلق فهي تصف العلاقات ذات الأهمية

القصى في حياة كل منا الدائمة المستمرة التي تؤثر في وجودنا وانبثقت من العلاقة الأولية بين الرضيع والأم وتطورت لتشمل كل العلاقات الحميمة بين الأشخاص مثل علاقات الأسرة الواحدة، مثلا وكذا الأصدقاء، مثل هذه العلاقات تشكل الأمن النفسي للفرد وتعزز بقائه ونموه (Finkel, E.J. and others: 2016: 383-411).

ويرى علماء النفس الاجتماعي أن العلاقات بين الأفراد تتراوح ما بين التقارب والتباعد بناء على عدة عوامل نفسية يفسرونها وفق نظريات عدة، مثل نظرية الإدراك الاجتماعي حيث يتحدد سلوك الأفراد نحو بعضهم البعض بناء على طريقة فهمهم للآخرين وتفسيرهم لدوافعهم وتقييمهم لتصرفاتهم نحوهم ما بين القبول التام أو الرفض التام (زهرا، سماح: 2017: 18).

ويتضمن توجه الأفراد نحو بعضهم البعض بالقبول أو الرفض مكوّنًا معرفيًا أي قائمًا على المعرفة أي معلومات عن الطرف الآخر ومعتقدات من يتعامل معه عنه، ومكونًا وجدانيا أي مشاعر الحب والتقبل أو النفور والكراهية، وأخيرًا مكونًا سلوكيًا بمعنى تصرفاتنا إزاء الغير التي هي نتاج لكل ما سبق إما بالاقتراب من أو الابتعاد عن الآخر (زهرا، سماح: 2006: 85).

ومن النظريات المفسرة لسلوك التقارب أو التباعد:

نظرية الإثابة:

ترى هذه النظرية أننا نقرب من الغير عندما يرتبط وجودهم في حياتنا بخبرات سارة، وبالمثل نبتعد عنهم متى ارتبط وجودهم في حياتنا بخبرات سيئة، وتعمل هذه العلاقة وفق آلية نفسية تقوم على مبدأ التدعيم والإثابة، وأحد أشكال الإثابة الكبرى هي الدعم الاجتماعي ممن نعيش معهم ويشكلون جزء من عالمنا الاجتماعي ويقدرّوننا تقديرا عالياً.

نظرية العدالة أو التعادل:

وترى أننا نتفاعل مع الغير ونرتبط بهم متى ما تبادلنا معهم علاقات متساوية، ويسمى هذا أيضا بالتبادل المتعادل حيث يحصل كلا طرفي التفاعل على مدخلات ومخرجات متساوية، أي أن التبادل الاجتماعي بين الطرفين متساوي الإشباع.

نظرية التوازن:

وترى أننا نفضل إقامة علاقات مع من يكون وجودهم في حياتنا سببا في تحقيق توازن لنا.

وإضافة إلى هذه النظريات هناك عوامل نفسية اجتماعية، مثل:

عامل التقارب المكاني:

يعني أننا نميل إلى إقامة علاقات بالغير الموجود في محيط حياتنا ووجودنا المادي، فالألفة في حد ذاتها شعور سار؛ لأن تكرار التعامل يشكّل نوعا من الآلية المريحة لنا في الفعل ورد الفعل عند تفاعلنا الاجتماعي مع الغير الذي اعتدنا وتأقلمنا ردود أفعاله، كالجيران وزملاء العمل والأقارب، وهو ما يسمى بعامل الألفة أي التعود.

عامل الجاذبية الشكلية:

ويعني أننا نميل إلى إقامة علاقات مع من يتمتعون بقدر من التناسق الشكلي الجمالي أكثر من غيرهم، ولو في بدء العلاقة الاجتماعية، وتستمر بالنمو أو الذبول حسب درجة تطابق هذا مع ذلك أي الشكل الجميل مع السلوك الطيب والعكس صحيح.

عامل المحبة المتبادلة:

وترى أننا نقيم علاقات أساس مع من يبادلوننا المحبة بمحبة ويتبع هذا العامل النظريات النفسية السابقة.

عامل الكفاءة:

ويرى أننا نميل إلى التعامل مع الأكفأ والأهمر ونبتعد عمّن دونهم؛ لأنّ هذا داعم ومفيد لنا، كما أوضحت النظريات السابقة.

عامل التشابه أو التكامل:

ويرى أننا نميل إلى الغير الذي يشبهنا وربما يتكامل معنا بحسب طبيعة شخصياتنا ومتطلباتنا، فهذا يعتبر دعم لنا وتفاعل أيسر لنا معه دون غيره (زهران، سماح: 2006: 86-90).

وقد اقترح الطبيب النفسي ايريك بيرن الذي عمل بمجال التحليل النفسي نظرية تفسّر وتعدّل من طبيعة العلاقات الإنسانية الاجتماعية، وتسمى نظرية التحليل التفاعلي: Transactional analysis theory، وتركز على التفاعلات الأنوية للفرد مع نفسه ومع الآخرين من أجل علاج الانحرافات النفسية للأدوار الاجتماعية المختلفة للفرد، ويرى ايريك بيرن أنّ بداخل كلّ منّا "طفل وراشد وسلطة والدية" تحركه متفاعلة معا في علاقاته الاجتماعية (إريك بيرن: 2022: 15-18). ويهدف العلاج النفسي للفعل التبادلي في العلاقة الاجتماعية للوصول إلى حالة: أنا على ما يرام وأنت على ما يرام، إذ قسم بيرن نتائج التفاعلات لأربع حالات: (1) الفرد والآخر ليسا على ما يرام. (2) الفرد على ما يرام والآخر ليس على ما يرام. (3) الآخر على ما يرام والفرد ليس على ما يرام. (4) كل من الفرد والآخر طرفي التفاعل على ما يرام، واعتبر هذا الحالة المثلى المنشودة لأي تفاعل إنساني. <https://ar.wikipedia.org/wiki> تحليل تفاعلي.

4- أنواع العلاقات بالطبيعة والنظام البيئي عامة:

يتكون النظام الحيوي من مجموعة من الأحياء التي تعمل معا لأداء مهمة أو مهام محددة. والمجتمع الحيوي Biotic Community عبارة عن تجمعات لكائنات حية تنتمي إلى أنواع مختلفة وتعيش مع بعضها البعض تحت ظروف بيئية معينة، تشمل العلاقات المتبادلة من الافتراس، التكافل، التطفل، التعاون (رحيم، شيماء: 2024:1).

ويتكون النظام البيئي من كائنات غير حية مثل المياه والغازات والمعادن، وكائنات حية مثل الحيوانات والنباتات. وتنقسم الكائنات إلى كائنات مستهلكة كالحيوانات والنباتات، وكائنات مفككة كالبيكتيريا والفطريات (رحيم، شيماء: 2024:2).

وفي علاقة مثل علاقة الافتراس يؤثر كائن في بقاء كائن آخر فهي علاقة إيجابية لأحدهما سلبية للآخر؛ حيث يجني أحد الطرفين فائدة بينما يتضرر الآخر. أما علاقة مثل التكافل فهي علاقة تعاون بين أطرافها المتفاعلة، فهي علاقة إيجابية لجميع الأطراف يجني فيها جميع المتفاعلين الفائدة، مثل علاقة النحل بالزهر حيث يعيش النحل على رحيق الأزهار وتتكاثر الزهور بفضل تلقيح النحل لها وهو يتغذى منها وينتقل بينها حاملا بذور التكاثر.

أما علاقة التطفل فهي مثل علاقة الافتراس إيجابية لطرف وسلبية للآخر، إلا أنها لا تتضمن فناء الطرف الآخر كما الافتراس وإنما العيش عليه كحاضن، فالطفيلي لا يمكنه البقاء بدون الحاضن المتطفل عليه (رحيم، شيماء: 2024:3-5).

ويعتبر قانون الاعتماد المتبادل أحد أهم قوانين النظام البيئي الحيوي وأكثرها ديمومة، فالطبيعة تعج بالكائنات ذات العلاقات مع بعضها البعض، بعضها منتج وبعضها مستهلك، بعضها آكل وبعضها مأكول. بعضها في علاقات تكاملية تفيد جميع الأطراف والبعض الآخر في علاقات تنافسية تتصارع على موارد محددة يكون فيها الفائز هو الأكثر قدرة على البقاء مثل علاقات الافتراس. (رحيم، شيماء: 2024:6).

وفي العلاقات الاجتماعية أيضا يرى علماء الاجتماع أن هناك مستويات للعلاقات الاجتماعية تتأرجح ما بين العلاقة التبادلية المتناسقة التامة حيث تكون إيجابية بين جميع أطراف التفاعل، والعلاقة اللاتبادلية غير المتناسقة ذات الاتجاه الواحد التي تعود بالفائدة على طرف دون آخر من أطراف التفاعل (فكرة، عبد العزيز: 2017: 504، 505).

وكذلك في علم نفس العلاقات الإنسانية كما أوضح بيرن في نظريته المشار إليها بالجزء السابق من النظريات المفسرة للعلاقات مثل هذه الأنواع من علاقات التفاعل المتوازنة على المستوى النفسي وعلاقات التفاعل غير المتوازنة.

5- العلاقات داخل منظومة الحياة الاجتماعية، مع تسليط الضوء على التحليل النفسي لبعض أشكال تلك العلاقات كنماذج:

لعل ما يعيننا من العرض للإطار النظري السابق البحث عن العلاقات المتكاملة المتسقة الإيجابية لكل أطرافها، ما العوامل التي تنمها وما الذي يمكن أن يعيقها.

ويعد موضوع العلاقات الإنسانية والاجتماعية من صميم موضوع علم النفس الاجتماعي؛ حيث أن علم النفس الاجتماعي هو علم دراسة السلوك الإنساني في علاقته بالآخرين، والسلوك الإنساني ما هو إلا نتاج علاقات ديناميكية صادرة عن تفاعل الفرد بكل خصائصه الشخصية، وإمكانيات البيئة التي يعيش في مجالها بكل ما فيها من عوامل مادية ومعنوية (فهيم، مصطفى: د.ت: 5).

ويتضمن السلوك الاجتماعي في علاقته بالغير ثلاث نواحي رئيسية:

العناصر التي يتكون منها الموقف الإنساني الاجتماعي، والعلاقات بين هذه العناصر، والتفاعل الذي ينشأ بين هذه العلاقات ويطلق عليه المضمون أو المحتوى. ويدور هذا التفاعل حول موضوعات معينة تؤدي في النهاية إلى تكوين عادات وأفكار ومعايير أي ثقافة معينة توجهه الفرد. أي أن الجماعة الإنسانية المتفاعلة بخصائصها الثقافية الخاصة تنشأ من هذه الوحدة الأولية (فهيمى، مصطفى: د.ت.: 6-7).

وفي هذا الجزء سنسلط الضوء من خلال التحليل النفسي على دور التربية في تكوين الفرد لشبكة علاقات متكاملة متوازنة إيجابية من عدمه:

بداية تأخذ العلاقات الاجتماعية لكل منا شكلين رئيسيين: علاقات أولية، ثم علاقات بالمجتمع الخارجي. أما العلاقات الأولية فهي علاقات الطفل بوالديه في الأسرة مع أول وعيه بالحياة. وتلعب مثل هذه العلاقات دورا مهما وخطيرا في تشكيل شخصيتنا الاجتماعية وتقليص الأنانية بداخلنا؛ حيث تتدخل التربية لتعلمنا مبدأ الأخذ والعطاء بالإحياء والتوجيه، فنتعلم ضبط النفس والتوافق الاجتماعي باللغة والتقليد والإحياء. ثم تأتي المرحلة الثانية من العلاقة بالعالم الخارجي وفيها يكون كل منا مدفوعا برغبته في التعاون والانضمام إلى الآخرين أو الانتماء إلى مجموعة. وإذا أخفق أي منّا في تكوين علاقة بالغير تكون النتيجة الشعور الدائم بالقلق وعدم الاستقرار، حتى ينتهي بنا الأمر إلى العزلة.

وانتمائنا إلى جماعة يقوم بالأساس على الدور الذي يلعبه كل منّا في هذه الجماعة، ومن خلال الأعمال الفردية التي يقوم بها الفرد في مواقف الجماعة يتحقق التكامل بين ذات الفرد وخصائصه الشخصية وومتطلبات جماعته وأهدافها.

وهذا ينقل السلوك بالتدرج من السلوك المتمركز حول الذات للسلوك المتمركز حول الجماعة، حيث تشكل علاقة الفرد بجماعته إطارا مرجعيا له، أي معيار لعمله وتصرفاته، ويحدث هذا مع نمو وتطور الذات ونمو وتطور السلوك الجماعي (فهيمى، مصطفى: د.ت.: 167-171).

نحن جميعا نتاج بيئاتنا، بمعنى أننا نفكر ونتصرف بالطريقة التي تربينا بها على وجه الخصوص، فخلال فترة تربية الإنسان تتعزز قيمنا وأرائنا تجاه العالم ولو بشكل لا شعوري على الأقل. وتحفر هذه الانطباعات بعمق داخلنا عبر السنين بما يؤثر في تصرفاتنا اليومية لمراحل متأخرة من العمر. وتؤثر التربية في سلوكياتنا وعلاقاتنا بالآخرين من خلال رؤيتنا لذاتنا واحترامنا لها ونظرتنا لقدراتنا الذاتية؛ لأننا سنتعامل مع الغير ونكون علاقاتنا بهم من خلال صورتنا عن ذاتنا هذه، وأيّا كانت البيئة التي ينشأ فيها الطفل فإنها تظل موجودة معه بإصرار حتى الكبر كمجموعة من المعتقدات والتوقعات، من حكمنا على شخصه من النقد والمدح حسب رعايتنا له. ويربط علم نفس النمو بين ترتيب الطفل في الأسرة وطبيعة شخصيته وعلاقته بالغير، فالأول يحمل توقعات والديه، والثاني يميل لجذب الانتباه، والثالث حر في التجول والحياة بأي نحو يريد (باتريك كينج: 2023: 178-179).

وتعد نظرية الارتباط واحدة من أهم الأطر النظرية المفسرة لعلاقتنا بالغير من خلال البحث في الكيفية التي تؤثر بها الأحداث اللاشعورية في الطفولة المبكرة في إرادة البالغين في نظرتهم للغير وعلاقتهم بهم. وأوضح بولبي مقترح النظرية أن الصغار يراقبون عن كثب دائم درجة حضور واهتمام القائم على رعايتهم، هل هو أو هم أشخاص موجودون وداعمون يمنحونه الحب والثقة والأمان؟ وإن كان الأمر كذلك فسيشعر هو تلقائيا ولا شعوريا بالثقة والرغبة في استكشاف العالم من حوله ويحصل على درجة من الاستقلال الصحي عن راعيه. وستؤثر هذه الآلية في العلاقة في علاقاته ببقية حياته. أما إذا كان الراعي مشتت أو غير متواجد أو لا يعتمد عليه فسيعاني الصغير القلق والخوف وسيؤثر هذا في علاقاته مستقبلا بشكل كبير (باتريك كينج: 2023: 157-159).

وبالتالي خرج العلماء - بول بمقترح النظرية وزملائه الذين طوروها فيما بعد - بأربعة أشكال لتفاعلات العلاقات الاجتماعية: الشكل الأمن، الشكل القلق المنشغل، الشكل الرفض الاجتماعي، الشكل المتخوف الاجتماعي. ومما لا شك فيه أن النمط الأول هو النمط المتزن في العلاقة وفي المشاعر بالتالي تجاه الغير. أما الأنماط الأخرى فهي تتجنب العلاقات مع الغير وتكبت مشاعرها حتى لا تتعرض للجرح أو الفقد (باتريك كينج: 2023: 160-163).

ونعود مرة أخرى إلى فكرة أو مبدأ "عاطفة اعتبار الذات" - كما أسماها مصطفى فهبي - والتي اعتبرها كرمانة الميزان في توازن الشخصية داخليا وفي علاقاتها بالغير خارجيا، ونقول إننا نأتي العالم ونعيش معتمدين على من يرعانا وكيف يرانا ويتصرف نحونا، بشكل يكون مثل هذه العاطفة المحورية نحو أنفسنا، والتي تضع لا شعوريا أسس تعاملنا مع الحياة لاحقا.

وعندما يتربى الإنسان في مبدأ حياته على أنه ليس جيدا بالقدر الكافي، ولا قيمة له إلا في إرضاء غيره. يحدث هذا عندما ينشأ الصغير لأبوين ناقدين يعكسوا أدوارهم كما لو كان الصغير راعيا لهم، مثل هذا الشخص عندما يكبر لا يشعر بوجوده في هذا العالم إلا إذا كان خادما لشخص آخر. فالأم التي تقول لطفلها لماذا تفعل هذا بي توصل له رسالة فورية بأن قيمته في الحياة الأساسية تتعلق باحتياجات أمه، فيشعر أنه خفي وكأنه مسح من الوجود. مثل هذا الشخص سيعمل دائما على إرضاء الناس في الوقت الذي يعجز هو نفسه على إرضاء ذاته ورعاية نفسه. (باتريك كينج: 2023: 167-168).

أنماط من العلاقات السوية واللاسوية:

علاقة التعصب:

يعرف التعصب على أن الحاجز الذي يصد كل فكر جديد، ويترك أصحابه بمعزل عن التطور المتلاحق بكافة صوره وفي أي مكان. ويرى البعض أن التعصب يؤدي وظيفة نفسية تتلخص في التنفيس عما بداخل الفرد من عدوان وكراهية مكبوتين. ويرى مصطفى زيور أن التعصب يمكن أن يكون إسقاطا لما في نفس المتعصب من شعور بالترجسية على مستوى العقل اللاواعي - والشخص النرجسي يرى دائما نفسه وجماعته على أنها الأفضل من الغير والآخرين. وهناك عدد آخر من علماء النفس يربط بين التعصب ومسايرة المجتمع الذي نعيش فيه لتفاعل معه كيفما يناسب أولوياته (مصطفى فهبي: د. ت.: 191-196).

إذن فالتعصب شكل من أشكال العلاقات اللاسوية بين الفرد والغير أو بين جماعة وأخرى في علاقاتها بالغير. قد ينشأ لأي من الأسباب السابقة أو لأسباب تتعلق بخلل في التربية، كما تم توضيحه سابقا في مجمل العلاقة بين التربية وكافة أشكال العلاقات الاجتماعية.

علاقة التسلط:

هي علاقة يفرض فيها أحد الطرفين نفسه على الطرف الآخر ليصبح المتسلط متحكما بإرادته في الخاضع. يقبل الخاضع الرضوخ لإرادة غيره؛ لأنه منعدم الإحساس بالأمان، وينظر إلى نفسه نظرة دونية. لذلك نجده يلتمس مثل هذه العلاقة التي يتوحد فيها مع المتسلط عليه والذي يمثل بالنسبة إليه شكلا من أشكال القوة، فالخاضع شخص دائم القلق منعدم الثقة يرى في المتسلط مصدرا للقوة وهو بتوحيده معه وخضوعه له يعوض هذا الشعور بالخوف والعجز المسيطر عليه، مثل هذه الوضعية التي تتسم بالقهر وإن بدت لنا كذلك تخلصه من مشاعر ضعفه الداخلية ومخاوفه الذاتية، فليس أكثر قسوة من الظالم المتسلط إلا الخاضع الراضخ للحفاظ على الوضع القائم كما هو (حجازي، مصطفى: 2007: 123-125).

الجماعة المتسلطة:

هي جماعة منغلقة ذات طبع عشائري، بمعنى أن تتماسك فروعها بشكل وثيق بينما تضعف مع الجماعات والمجتمعات الخارجية. وفيها يكون القائد أو رب الأسرة مثلا مالكا لأفرادها، فالأب يمتلك الأم والأبناء؛ لأنه يحممهم ويؤمن حاجاتهم، وبالتالي فهو يقرر مصيرهم ويتسلط عليهم تبعا لمصلحته ومصصلحة بقاء هذه الجماعة. فكل راع يمتلك رعاياه داخل هذه الجماعة من خلال ثلاث أساليب هي الترغيب والترهيب والابتزاز، فالترغيب يكون بمحاسن البقاء الذوباني - الذي تنطمس فيه ذات الفرد لترضخ لذات الجماعة الكبرى - والذي يحقق لأفراد الجماعة كل حاجاتهم، والترهيب يكون بالتهديد بالنبد والحرمان والعقاب والتنكر، أما الابتزاز فيكون بإثارة مشاعر الذنب عند الخاضعين إن حالوا خرق النظام العام، كإشعارهم بأنهم تنكروا لخير الجماعة عليهم إن فكروا في التنصل منها (حجازي، مصطفى: 2007: 115).

ومثل هذا الانتماء الذوباني يمنع للجماعة ولأفرادها الانتماء إلى جماعات أخرى؛ إذ يمنع بروز المصلحة العامة وغلبتها لصالح سيادة مصلحة هذه الجماعة. إذ تقاوم مثل هذه الجماعات المتسلطة الميول الاستقلالية لأفرادها وتعتبر نفسها الملجأ والملاذ والضمان ضد الأخطار الخارجية (حجازي، مصطفى: 2007: 116).

وتسيطر على مثل هذه الجماعات مشاعر الخلود النفسي بالتكاثر والزيادة العددية بدلا من الإنجاز بالعمل، وفي هذا تعويض لا شعوري لا واعي عن إحساسها بالمهانة والدونية الوجودية (حجازي، مصطفى: 2007: 117).

وليس الخطير في علاقة التسلط هو الهدر الوجودي للشخص الخاضع فحسب، ولكن المسببات اللاواعية التي تقف وراء قبول شخص أن يكون خاضعا لآخر أو تابعا لجماعة، بحيث يجد نفسه خارج تحقيق ذاته وبلا كيان واضح، وتقف الحاجة لتحقيق الذات على رأس قائمة الاحتياجات الإنسانية وفقا

لهرم الحاجات النفسية الذي اقترحه العالم ماسلو. ولنأخذ مثالا على ذلك: امرأة تزوجت ثلاث مرات وفشلت حيث تعرضت لأزواج مدمنين وعنيفين اعتدوا عليها بالضرب، وكانت نهاية كل زيجة الطلاق. تبدو هذه القصة من الوهلة الأولى سوء اختيار أو سوء حظ، لكن بالتعامل النفسي مع هذه المرأة تبين أنها تعرضت للاغتصاب من أحد المحارم وهي صغيرة فتولد عن هذا الاعتداء المتكرر لها إحساس لا شعوري بالذنب وكونها تستحق العقاب وهكذا أصبح يحركها بشكل لا واعي وبدون أن تدري فكرة أنها إنسانة سيئة تستحق العقاب، وهكذا انخرطت بدافع لا شعوري من الإحساس بالذنب في تجارب مأساوية تجسد لها فكرتها عن نفسها والتي تستحق العقاب دوما (حجازي، مصطفى: 2006: 243، 272).

علاقة التعاون:

إن التعاون جزء مهم من حياتنا اليومية، فالإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، كل تفاصيل حياته تتضمن دوما أطرافاً متعددة تعمل معاً لتحقيق أهداف مشتركة، سواء كانت على مستوى العلاقات الدائمة أو المؤقتة، العميقة أو السطحية. وهناك عديد العوامل التي تساعد في تحديد ما إذا كان الناس سيتعاونون بنجاح أم لا، بدءاً من ثقافة مجتمعاتهم أو سماتهم الشخصية، أو حاجاتهم وأهدافهم، وحتى الثقة التي يضعونها في شركائهم بدرجات من عدمه، أو درجة تعاطفهم مع الآخرين. رغم أن التعاون قد يكون صعب التحقيق في بعض الأحيان، إلا أنه أمر مؤكد لاستمرار الحياة.

إن التحليل النفسي لعلاقة التعاون يعني أن جميع الأطراف المتعاونة تخلو من أية مشاكل أو عقد نفسية شخصية أو ضغوط اجتماعية تحول بينها وبين تحقيقها لأهدافها، ولو كان ذلك على مستوى موقف التفاعل المؤقت البسيط، فالأهداف واضحة والحرص على تحقيقها له الأولوية، بإرجاء أية متغيرات وسيطة أي دخيلة شخصية أو اجتماعية يمكن أن تعوق هذا أو تحول دون الأفراد وتحقيق أهدافهم.

علاقة الحب:

تقف على رأس قائمة العلاقات الإنسانية التي تعبر عن الارتباط العاطفي القوي بين شخصين أو أكثر، وقد شغلت العلماء والفلاسفة وأفرد لها علم النفس بخاصة دراسات عدة تقوم على أساس فحص وتحليل مثل هذه العلاقة.

وتتصف مثل هذه العلاقات بالديمومة فترات طويلة من العمر، فمن المفترض أن تستمر ما استمرت الحياة. وتشعر فيها كل الأطراف المتفاعلة بالراحة في وجود الشخص الآخر أو الأطراف الأخرى، إذ يعتمد شعور أحد أطرافها بالراحة والرفاهية والسعادة على وجود الشخص الآخر أو الأطراف الآخرين، ويتسبب عدم وجود مثل هؤلاء في القلق المستمر والإحباط للأطراف الآخرين.

وتظهر مشاعر التعاطف والمشاركة الوجدانية في مثل هذه العلاقات فالفرد يتوحد مع مشاعر الآخر في السراء والضراء كما لو كانت تخصه ويسلك نحوه بما يخفف ضيقه أو يزيد بهجته. كذلك تظهر سلوكيات ومشاعر مثل التضحية المتبادلة بمعنى الإيثار وتفضيل الغير على الذات في مواقف معينة تتطلب هذا، ويتبادل المتحابون مثل هذه السلوكيات بين بعضهم البعض في كافة مواقف الحياة. ومن أمثلة هذه

العلاقات علاقة الصغار بالديهم، وعلاقة الأزواج، وعلاقة الجيرة أو القرابة الوطيدة، وأخيرا علاقة الأصدقاء والذين تتمتع صداقاهم بديمومة طويلة.

إذن علاقتي التعاون والحب كلاهما علاقات اجتماعية بناءة، إلا أنّ التعاون يقوم على أساس الجانب العقلي في المقام الأول الذي يعمل على إقامة العلاقة واستمراريتها فهو الأكثر عمومية بين البشر، والحب يقوم على الجانب الوجداني حيث العاطفة والمشاعر تلعب دورا أساسيا في إقامة العلاقة واستمراريتها وهو الأكثر خصوصية وشخصنة بين بني البشر.

6- المستخلص والمقترح لمنظومة العلاقات الاجتماعية كجزء من منظومة العلاقات بالطبيعة ككل:

اتبعت هذه المقالة البحثية من مبتدأها المنهج الفرضي الاستنباطي في البحث العلمي المنطقي، حيث فرضت المؤلفة كون العلاقات الإنسانية الاجتماعية جزء من منظومة العلاقات الكونية، تتبع ما تتبعه هذه العلاقات من نسق عام وقواعد.

والمنهج الفرضي الاستنباطي يبدأ بفروض مستمدة من الوقائع أو التجارب أو الملاحظات، ثم يجري عليها عملية منطقية اسنباطية قد يستخدم فيها الرياضيات كأداة للتحليل (محمد، ماهر عبد القادر: 1985: 339).

والاستنباط الرياضي يتميز بالتعميم أي الانتقال من الخاص إلى العام، ووفقا لعلماء المنطق أمثال بيكون ومل فإن العالم يقوم بجمع المعلومات عن الظاهرة موضوع البحث والدراسة، ويتبع الجوانب التي تظهر فيها الظاهرة، والجوانب التي تختفي فيها الظاهرة والحالات التي تتفاوت فيها الظاهرة زيادة ونقصانا، ثم يحلل هذه القوائم لمعرفة ما تدل عليه نسب الظاهرة موضوع الدراسة وأخيرا يحدد الظاهرة ويسمها بمعنى أن يعطيها التفسير والعلّة بمعنى السبب أي سبب حدوثها.

أي أنه في الاستنباط أو ما يسمى بالقياس المنطقي تكون هناك فرضية أولا، ثم مقدمة نظرية ثانيا، ثم استنتاج مبني على المنطق والأدلة ثالثا وأخيرا. وهو ما يعرف بالمنهج الاستدلالي أو الاستنتاجي في البحث العلمي (الجنائني، هبة السيد محمد: 2017: 269-292).

وبالرجوع للمقالة العلمية الحالية من مبتدأها كان الفرض أولا أن منظومة العلاقات الاجتماعية الإنسانية جزء من المنظومة الكونية، وتتبع ظاهرة العلاقات عبر الإنسان والمجتمعات والطبيعة أو النظام البيئي، يمكن استنباط ما يلي:

- أن هناك نوعين أساسيين من العلاقات في الطبيعة نوع بناء إيجابي، ونوع هدام سلبي.
- أما النوع الإيجابي فهو القائم على المنفعة المتبادلة للأطراف المتفاعلة- حيث قانون الاعتماد المتبادل أحد أهم قوانين النظام البيئي الحيوي وأكثرها ديمومة، ويبدو هذا النوع حاضرا دون غياب أو استثناء في علاقات التعاون والتكامل بين الكائنات المختلفة بالنظام البيئي وكذا بين بني البشر في المجتمعات.

- بينما يقوم النوع السلبي على أمرين إما منفعة لطرف وخسارة لآخر من أطراف التفاعل، أو الخسارة لكلا الطرفين المتفاعلين، وتبدو هذه الظاهرة حاضرة أيضا دون غياب أو استثناء بالطبيعة وبالمجتمعات البشرية، كعلاقات التطفل بين الكائنات الحية بالنظام الحيوي حيث المتطفل يستفيد من العائل، بينما العائل يمد المتطفل بما يحتاجه دون أن يستفيد منه شيئا. وكما في علاقات التسلط الخضوع بين البشر فالمتسلط يستنفذ إمكانيات الخاضع ويستغله بينما لا يسري هذا على الخاضع أو التابع، ومثال ذلك بالمجتمعات البشرية ظاهرة العبودية وكذلك ظاهرة الاستعمار، حيث كيان يتسلط على آخر ويستغل إمكانياته لصالحه هو وحده دون الطرف الآخر. وأخيرا بالعلاقة السلبية علاقة الافتراس حيث يفترس كلا الطرفين بعضهما البعض وتكون نتيجتها فناء الأطراف المتفاعلة، كما يحدث بين الحيوانات المفترسة في الغابة بالطبيعة، وكما في الحروب الشاملة التدميرية بالمجتمعات الإنسانية.
- إذن بمنطق سيكون ومل بتحليل وتفنيذ الظاهرة موضع الدراسة في حضورها بين كافة أشكال التفاعل، أمكن تصنيف علاقات التفاعل لنوعين رئيسيين نوع يبني قائم على التكامل بين أطراف العلاقة ونوع يهدم قائم على فائدة طرف وخسارة آخر قائم على الاستغلال أو خسارة كلا الطرفين، وهذا يؤدي لفناء المنظومة أي فناء الأطراف المتفاعلة وبالتالي العلاقة ذاتيا.
- إذن لدينا التكامل مقابل الاستغلال في منظومة العلاقات والتفاعلات بالطبيعة متضمنة الإنسان كجزء من الطبيعة، التكامل يشير إلى علاقة تبادلية من الأخذ والعطاء - وفي التحليل النفسي الذي أفردته سابقا بالجزء النظري - يدل هذا على أن أطراف التفاعل تتمتع بالسلامة النفسية - ولو على مستوى مجال التفاعل أو موقف التفاعل فقط- بحيث يكون هدف المتفاعلين تحقيق غاياتهم كمجموع دون النظر إلى ذواتهم على حساب الآخرين، وبقدر ما كان هدف المتفاعلين الصالح العام بقدر ما ازدادت درجة نضجهم وسلامتهم الشخصية النفسية.
- أما علاقة الاستغلال فتدل على الاضطراب في الشخصية والاضطراب النفسي وربما المجتمعي أيضا للأطراف المتفاعلة في موقف التفاعل، فالخاضع عاطفة اعتبار الذات لديه متدنية يعاني شعورا بالذنب والقهر غير واضح لديه بل مدفون بعقله الباطن يسمح للمستغل بالتسلط عليه، حيث يرى في نفسه ووجوده حياة من أجل مصلحة الغير فقط، وفي المقابل فإن المستغل يعاني ذاتا نرجسية متضخمة ترى في الأشخاص والأشياء سبلا لحياتها هي فقط وحدها دون أحقية الغير، وأن كل شيء لأبد أن يسخر لهذا الغرض.
- من هنا فإن علاقتي التكامل والاستغلال المتضادتين - هما على حد تعبير علماء المنطق أو المناطقة - علاقات وظيفية والعلاقة الوظيفية تشير إلى ترابط ظاهرتين توجدان في آن واحد وتتغيران تغيرا نسبيا، بحيث تعد إحداها شرطا للأخرى، دون إمكانية أن نقول أن إحدهما مقدمة والأخرى نتيجة، فهي لاتعبر عن السبب بقدر ما تعبر عن الصلة بين المتغيرين، والمتغيرين هنا هما طرفي التفاعل أو العلاقة (قاسم، محمود: 1953: 192-195).

- ومثال ذلك في علاقات التكامل والتعاون والتكافل أن طرفي التفاعل أو العلاقة يزيد عطاء كل منهما بمقدار عطاء الطرف الآخر، والعكس صحيح، فالعلاقة هنا طردية للأطراف المتفاعلة المتكاملة الطرف الأول يزيد في العطاء، الطرف الآخر يزيد في العطاء بالمثل، الطرف الأول يقل في العطاء الطرف الآخر يقل في العطاء بالمثل وهي بهذا علاقة تطرد على نحو إيجابي بناء.
- أما علاقة الاستغلال فهي علاقة تتطرد على نحو سلبي هدام لأنه بقدر ما يزيد الطرف الأول استغلاله يزيد الطرف الآخر خضوعه ويتضخم ويتزايد حجم الاستغلال. فنحن إزاء علاقة وظيفية بين أطراف التفاعل سواء في التكامل أو الاستغلال؛ لأن كلا المتغيرين أي المتفاعلين يوجدان في آن واحد ويتغيران تغيرا نسبيا معا، على نحو ما سبق.
- وإذا أردنا التعبير رياضيا عن العلاقة الطردية هذه، يمكن القول إن $s = 1/v$ و $s = 2/v$ ، حيث $s = 1$ ، و $v = 1$ هما طرفي التفاعل في العلاقة الطردية الإيجابية مثل علاقات التكامل التعاون التكافل سابقة الذكر، و $s = 2$ و $v = 2$ هما طرفي التفاعل في علاقات الاستغلال، حيث أن كل من شكلي العلاقات الإيجابي والسلبي يتناسب طرديا بين طرفي العلاقة أو التفاعل.
- كذلك يمكن القول إن $s = m/v$ ، حيث s أحد طرفي التفاعل ليكن مثلا الطرف المتسلط، و v هو الطرف الآخر ليكن مثلا الطرف الخاضع، و m هي ثابت التغير، ففي كل حالات العلاقة الاستغلالية كلما زاد التسلط يزيد الخضوع بنسبة ثابتة تعبر عن اضطراد العلاقة.
- وأخيرا يمكن صياغة نمط العلاقة الإنسانية المقترح وفق كل ما تقدم كما في المعادلة التالية: الدافع + رد الفعل = ناتج العلاقة، بمعنى أن أي طرفين يدخلان في تفاعل ومن ثم في علاقة لأن كلا منهما لديه دافع معين وحاجة يريد إشباعها وهدف يريد الوصول إليه، بسيطا كان أم كبيرا بحسب متطلبات الموقف، ويتحدد ناتج العلاقة بالسلب أو الإيجاب، أي في شكل تكاملي أو استغلالي بحسب ردود أفعال كل طرف متفاعل في العلاقة، بحيث يكون الناتج إما لصالح كلا الطرفين، أو لصالح أحدهما دون الآخر، أو لخسارة الجميع.



المراجع:**العربية:**

- 1- الأشول، عادل عز الدين: 1999: علم النفس الاجتماعي: الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 2- إريك بيرن: 2022: ألعاب يلعبها الناس – سيكولوجية العلاقات الإنسانية- ترجمة جورج نبيل، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 3- باتريك كينج: 2023: ترجمة مروة مدين – فكر كأنك نفساني – دار دون – القاهرة.
- 4- الجنائني، هبة السيد محمد: 2017: المنطق الرياضي وآليات الاستنباط الدقيق، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، ISSN: 2536 – 9555، جامعة القاهرة، القاهرة.
- 5- حجازي، مصطفى: 2006: الإنسان المهدور – دراسة تحليلية نفسية، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 6- حجازي، مصطفى: 2007: التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 7- زهران، سماح خالد: 2006: العلم من أجل مجتمع إنساني أفضل- دراسات في علم النفس الاجتماعي التربوي على الأطفال والراشدين، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 8- زهران، سماح خالد: 2017: سيكولوجيا الإدراك الاجتماعي- قراءة تحليلية – كيف نرى العالم الواحد عوالم متعددة: مكتبة الآداب، القاهرة.
- 9- فكرة، عبد العزيز: 2017: العلاقات الاجتماعية من منظور سسيولوجي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد 10، العدد 1، جامعة تبسه، الجزائر.
- 10- فهمي، مصطفى: د.ت.: سلسلة في علم النفس – موضوع مجالات علم النفس، مكتبة مصر، القاهرة.
- 11- قاسم، محمود: 1953: المنطق الحديث ومناهج البحث، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 12- محمد، ماهر عبد القادر: 1985: المنطق ومناهج البحث، دار النهضة العربية، بيروت.

الانجليزية:

- 1- Finkel, E.J. and others: 2016: The Psychology of close Relationships, Annual rev. Psychol, vol. 68
- 2- Gillath, Omri and others: 2012: Relationship science: American Psychological Association, Washington, DC. DOI: 10.1037/13489-000.

المواقع الالكترونية:

- 1- <https://ar.wikipedia.org/wiki> تحليل تفاعلي، تاريخ الزيارة مارس 2024.
- 2- https://link.springer.com/referenceworkentry/10.1007/978-1-4419-1005-9_59

- 3 Nijstad, B.A.: 2007: The psychology of groups- basic principles, chapter 12, -3
<http://core.ac.uk>
- 4 Social relationships, Springer Link, Encyclopedia of Behavioral Medicine, pp 1838–1842. -4
Visited in March 2024.
- 5 رحيم، شيماء: 2024: أنواع العلاقات المتبادلة بين المخلوقات الحية، جامعة بابل
https://www.uobabylon.edu.iq/eprints/pubdoc_11_1033_1213.docx
- 6 فرويد، سيجموند: 1921: علم نفس الجماهير، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى
www.arssifa.com
- 7 ويكيبيديا: 2024: نظرية الحقل: 4-1: <http://ar.wikipedia.org/wiki/>